مركز دمشق للأبحاث والدراسات
Damascus Center For Research and Studies

الآثار السورية في ظل الأزمة:
«التحدي والاستجابة»

د. عمار عبد الرحمن

مداد ...

مؤسسةٌ بحثيةٌ مستقلّة تأسّست عام ٢٠١٥، مقرّها مدينة دمشق، تُعنى بالسياسات العامّة والشؤون الإقليمية والدولية، وقضايا العلوم السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والقانونية والعسكرية والأمنية، وذلك بالمعنى المعرفيّ الشّامل (نظريّاً، وتطبيقيّاً)، بالإضافة إلى عنايتها بالدراسات المستقبلية/الاستشرافية، وتركيزها على السياسات والقضايا الرّاهنة، ومتابعة فاعلي السياسة المحلية والإقليمية والدولية، على أساس النّقد والتقييم، واستقصاء التداعيات المحتملة والبدائل والخيارات الممكنة حيالها.

جميع حقوق النشر محفوظة © ٢٠١٦

سورية – دمشق – مزة فيلات غربية – خلف بناء الاتصالات – شارع تشيلي – بناء الحلاق **83**

www.dcrs.sy

info@dcrs.sy

الآثار السورية في ظل الأزمة: "التحدي والاستجابة"[1]

الدكتور عمار عبد الرحمن

[1] نظرية أرنولد توينبي "التحدي والاستجابة".

المحتويات

ملخص

مقدمة

أولاً: موقع سورية الحضاري عبر التاريخ

١- سورية في عصور ما قبل التاريخ

٢- تأسيس المدينة في الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد

٣- حضارات الألف الثاني قبل الميلاد

٤- ممالك عصر الحديد في الألف الأولى قبل الميلاد

٥- المرحلتان المسيحية والإسلامية

ثانياً: أسباب التعديات على الآثار وتخريبها

١- الدافع المادي

٢- الدافع الديني

٣- المجموعات المنظمة

٤- استخدام الأبنية الأثرية القديمة لغايات عسكرية

٥- استخدام حجارة الأوابد الأثرية في البناء

ثالثاً: أضرار المواقع الأثرية في سورية

١- درعا

٢- تدمر

٣- معرة النعمان

٤- إدلب

٥- حماة

٦- دمشق

٧- ريف دمشق

٨- حمص

٩- دير الزور

١٠- حلب

١١- ريف حلب

١٢- الرقة

١٣- الحسكة

رابعاً: المتاحف في ظل الأزمة

خامساً: الإسهامات المحلية والدولية لحماية الآثار السورية

١- الجهات الحكومية السورية

٢- الإسهامات والجهود الدولية

الخاتمة والتوصيات

المراجع

ملخص

تتناول الدراسة واقع الآثار السورية خلال الأزمة، ومخاطر التعدي عليها والتخريب الذي لحق بها. وقد تضمنت تصنيفاً للأسباب التي أدت إلى التعدي عليها بهدف تدميرها أو تشويهها أو سرقتها، حيث بيَّنَ البحثُ أنها تتراوح بين دوافع مادية غايتها المال والربح، وأخرى دينية أصولية توجه سلوك التنظيمات والجماعات المسلحة، بالإضافة إلى دوافع أخرى ما زالت غامضة ومشبوهة لم يتم الكشف عنها والتأكد منها بعد. كما ترصد الدراسة بقَدْرٍ من التفصيل أهم الأضرار التي لحقت بالمواقع الأثرية في أغلب المناطق السورية، بناء على المعلومات المتاحة (على قلتها)، خاصةً في المناطق التي ما زالت تحت سيطرة المجموعات المسلحة.

كما تسلط الدراسة الضوء على الإسهامات المحلية والدولية لحماية الآثار السورية، وتنتهي إلى التوصية بضرورة اتخاذ إجراءات وخطوات أسرع وأكبر من سابقاتها، لضمان إيقاف تخريب الآثار، وإعادة ترميم ما يمكن ترميمه، واستعادة المسروقِ والمهرّبِ منها، وعَدِّ ذلك مسؤولية أساسية للمجتمع الدولي أمام الأجيال البشرية اللاحقة.

كلمات مفتاحية:

الآثار، الأزمة السورية، المجتمع المحلي، التراث العالمي، المتاحف، داعش.

مقدمة

تعد الحروب والنزاعات المسلحة مصادرَ تهديدٍ مباشرٍ للآثار والمواقع الأثرية في مناطق وقوع النزاع، إذ قد تتعرض للتخريب المباشر والمقصود لأسباب مختلفة، أو غير المقصود، نتيجة وقوع العمليات العسكرية والدمار الذي تخلفه. كما يسمح اضطراب الأوضاع الذي تتسبب به الحروب بازدياد عمليات التنقيب العشوائي عن الآثار وسرقتها والإتجار بها.

ويُلاحظ أنّه بعد دخول الأزمة في سورية عامها السادس، وخضوع عدة مناطق للمجموعات الإرهابية المسلحة، أو وقوعها ضمن مناطق الاشتباكات، تعرضت الآثار السورية لشتى أنواع التخريب والتدمير والسرقة، وما زالت معرضة للمزيد حتى الآن، لذلك تحاول هذه الدراسة تبيان الأسباب الرئيسة التي أدت وما زالت تؤدي إلى ذلك. وكيف أنَّ بعض هذه الأسباب مازال قائماً، وبالتالي يمثل خطراً محتملاً، يهدد بالمزيد من الاعتداء والتخريب.

كما تسعى الدراسة إلى محاولة رصد وتوثيق بعض حالات الاعتداء على الآثار ضمن الشروط الممكنة والظروف الحالية، وهو توثيق لا يمكن عدّه نهائياً، بل مفتوحاً لمزيد من التحديث والتعديل، بناء على توافر معطيات حديثة أو قوع أحداث جديدة.

تتناول الدراسة أيضاً الجهود التي بذلت، سواء من قبل الدولة السورية أم المجتمع الدولي بهيئاته ومنظماته لحماية الآثار السورية، وتُنبِّه إلى ضرورة أن يتحمل المجتمع الدولي مسؤولياته، في الحفاظ على التراث التاريخي السوري، لأنه تراث عالمي لا يختص بسورية وحدها، بل يرتبط بالحضارة البشرية كلها.

أولاً: موقع سورية الحضاري عبر التاريخ

لا يتكامل الحديث عن الأزمة في سورية وتأثيرها في الواقع الأثريّ وعلم الآثار، إلا بعد التذكير بأهمية سورية ومكانتها التراثية المتألقة، ليس في منطقتنا وحسب بل في كل العالم. فقد قدمت سورية للبشرية الكثير من الاختراعات والمنجزات الحضارية التي مازالت آثارها ماثلة حتى الوقت الحاضر.

١- سورية في عصور ما قبل التاريخ

يمكن البدء منذ عصور ما قبل التاريخ، في العصر الحجري الحديث (الألف العاشر قبل الميلاد)، عندما اكتشفت ملامح الاستقرار واختراع الزراعة واستئناس الحيوانات لأول مرة في تاريخ البشرية[٢]، فبعد أن كان الإنسان مترحلاً متنقلاً يسعى وراء طعامه ومكان يبات فيه، أصبح له بيت يُؤْويه كل أيام السنة، ويجني الحبوب التي زرعها من قمح وشعير وشوفان، ويُربي الحيوانات البرية بعد أن دجنها مثل الغنم والماعز. وقد كانت مواقع المريبط وجرف الأحمر وحالولة في منطقة الفرات الأوسط من المواقع الرائدة في هذا التحول العميق للتاريخ الإنساني، والتي مهدت الطريق إلى ظهور المدن والتكامل الحضاري الذي تجلى لاحقاً خلال العصور التاريخية.[٣]

٢- تأسيس المدينة في الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد

وأظهرت الاكتشافات الأثريّة أنَّه مع استهلال العصور التاريخية في الألف الرابع قبل الميلاد، بدأ بناء المدن المسورة والكبيرة المساحة، التي ضمت أبنية جماعية كبيرة، مثل: القصر، والمعبد، والبيوت العادية وغيرها. وشهدت مواقع، مثل: موقع حبوبة كبيرة الواقع على الفرات الأوسط بوادر الكتابة الرمزية التي تطورت لاحقاً إلى ما يعرف بالكتابة المسمارية، التي انتشرت في كل مواقع المشرق العربي القديم. وقد كُشِفَ في موقع إيبلا (من الألف الثالث قبل الميلاد) عن أقدم نموذج للقاموس اللغوي،[٤] إذ وضعت مفردات اللغة الإيبلائية ومقابلاتها في السومرية.

وقد انتشرت المدن الكبيرة في أنحاء كثيرة، كما في منطقة الجزيرة السورية، مثل: مواقع "تل بيدر" و"تل ليلان" و"تل براك" و"تل حموكار"، وفي منطقة الفرات الأوسط، مثل: مواقع "جرابلس تحتاني"، و"تل حلاوة" و"تل سويحات". وقد أطلق على بعضها التلال الإكليلية[٥] نظراً إلى كونها مُحاطة بسورين،

---

[2] Steven Mithen, *After the Ice: a Global Human History, 20.000 - 5.000 BC*, (Cambridge, Mass.: Harvard Univ. Press, 1.paperback ed. 2006), pp.40 - 41.

[٣] عمار عبد الرحمن، **فنون ومعتقدات المزارعين الأوائل**، (دمشق: ٢٠٠٩)، ص ٤٥-٤٦.

[4] Matthiae Paolo*, The Royal Archives of Ebla*, (Skira Editore, 2007), p.17.

[5] Jean Paul*, Sämtliche Werke*, Band 5, (Berlin: 1826), p.141.

ووجود مدينة مرتفعة ومدينة سفلى. وانتشرت خلالها المحفوظات الكتابية، التي كانت تستخدم لتبادل الرسائل مع المدن الأخرى، كما أنها وثقت النشاطات اليومية، التي كانت تقوم بها مؤسسات مسؤولة، مثل: القصر والمعبد، وكذلك تفاصيل توزيع الطعام على الأفراد، بالإضافة إلى توثيق عقود الرهن والبيع والضمان والدين. وقد أمدتنا هذه المحفوظات بمعلومات مهمة عن الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في تلك الحقبة من الألف الثالث قبل الميلاد.

٣- حضارات الألف الثاني قبل الميلاد

ازدادت مع بداية الألف الثاني قبل الميلاد نسبة وحجم الاستيطان في سورية، فقد ظهرت مراكز لممالك جديدة، مثل: "قطنا" و"يمحاض" و"أوغاريت"، فيما استمر الاستيطان في ممالك سابقة مع التوسع والنماء، مثل: "ماري" و"إيبلا" و"تل ليلان" و"تل براك" وغيرها. وقد ازداد عدد المحفوظات، نظراً لتطور العلاقات وزيادة حدة الصراعات للسيطرة على مناطق أوسع والتحكم بطرق استراتيجية للتجارة والتواصل بين المناطق المتفرقة. لقد أغنت نصوص "ماري"[٦] تاريخ تلك الفترة نظراً لتميزها وتركيز معظمها على العلاقات السياسية بين ماري والممالك الأخرى حينها، مثل: "يمحاض" و"بابل" و"أشور" وغيرها. كما تميزت المدن الجديدة بنظام دفاعي حصين، من خلال بناء أسوار محكمة، علاوة على نظام الصرف المائي المتميز لتزويد المدن الكبرى بالماء، ففي "ماري" -على سبيل المثال- تم شق قناة فرعية عن نهر الفرات، لتمر خلال المدينة، ومن ثم تخرج من الطرف الآخر لترافق النهر مرة أخرى. كما أصبحت العمارة المدنية أكثر مهابة وضخامة، ففي قصر "ماري" الذي ضم نحو ٣٠٠ غرفة، هناك قاعة للعرش ومعبد داخل القصر وأقسام مخصصة لخدمة القصر من مطابخ ومستودعات، كما خُصِّصَ بعضها لإقامة الملك في الطابق الثاني، عثر كذلك على مدرسة لتعليم الصغار اللغة الأكادية وكتابتها المسمارية كما أفادت الألواح الطينية لتدريب الطلاب.

لقد توجت "أوغاريت" هذه التفاعلات الحضارية بإبداع غيّر وجه البشرية، فقد تم اختصار كل الإشارات المسمارية، وتغيير نمطها من صوتيٍّ إلى أبجديٍّ، ذلك في ٣٠ حرفاً مسمارياً.[٧] ومنها انطلقت إلى اليونان لاحقاً، ومن ثم إلى جميع الأصقاع. لقد كانت الأبجدية في "أوغاريت" -التي صقلت لاحقاً في "جبيل" لتصبح ٢٢ حرفاً- منارة التطور الجديد في التدوين ووضوح ملامح المعاني وسهولة التعبير عنها.

---

[6] See Jean-Claude Margueron, *Mari. Métropole de l'Euphrate au IIIe et au début du IIe millénaire av. J.-C.* (Paris: Picard, 2004).

[7] Dennis Pardee, *The Ugaritic Texts And The Origins Of West-Semitic Literary Composition. (*New York: Oxford University Press- for the British Academy, 2012), pp.181-200.

كانت "أوغاريت" من أشهر المدن الساحلية السورية في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، وكانت تتعامل مع مرافئ قريبة وبعيدة، وهذا ما يدل عليه تنوع وكثافة النصوص فيها، فقد كشف عن نصوص "حثية" و"حورية" و"قبرصية" و"بابلية"، كُتب جُلُّها بالمسمارية، كما عثر على نصوص هيروغليفية من مصر.

٤- ممالك عصر الحديد في الألف الأولى قبل الميلاد

دخلت منطقة المشرق العربي القديم مع بداية الألف الأول قبل الميلاد، خاصةً الأجزاء القريبة من الساحل في ما يسمى عصر الحديد، وقد نشأت في هذا العصر ممالك جديدة تعتمد على الاستقرار الجديد في إمارات متفرقة عرفت بالآرامية، وأهمها "آرام دمشق" و"آرام صوبا"، و"حماه" و"بيت أجوشي" وعاصمتها "أربادا" (تل رفعت حالياً)، و"بيت بحياني" وعاصمتها "تل حلف" حالياً،[٨] و"بيت عدينِ" وعاصمتها "تل بارسب" (تل أحمر حالياً)،[٩] و"بيت زمان" وعاصمتها "أمد" (ديار بكر حالياً). وقد ازدهرت عمارة جديدة للبيوت الفخمة أو القصور على نمط أطلق عليه "بيت خيلاني"[١٠] تزين مدخله في بعض الأحيان مجموعة تماثيل تمثل آلهة تقف على حيوانات مفترسة، كما في بوابة بيت في "تل حلف"، التي نُقلت إلى متحف حلب لتزين مدخله. كما نَقلت لنا بعض المسلات والتماثيل الكبيرة تفاصيل تاريخ هذه الحقبة، كما في تمثال "هدد يسعي" الذي كشف عنه في "تل الفخيرية" على نهر الخابور.[١١] كما بدأت في هذه الحقبة ملامح سيطرة آشورية على المنطقة كانت بين مد وجزر، وفق قوة واتفاق الممالك الآرامية مع بعضها. وتركت مجموعة كبيرة من النصوص التي كانت المصدر الرئيس في تفاصيل تحركات الملوك الآشوريين وحملاتهم العسكرية.

هذا، وبعد سيطرة الامبراطورية الفارسية على بابل في ٥٣٩ قبل الميلاد، تمت الهيمنة على سورية بإبقاء الحكام المحليين مع تبعيتهم للملوك الفرس.

---

[٨] ناديا خوليديس، لوتس مار تين، **تل حلف والمنقب الأثري فون أوبنهايم**، ترجمة فاروق اسماعيل، (دمشق: دار الزمان، ٢٠٠٦)، ص١٣.

[9] Gay Bunnens, Til Barsip under Assyrian Domination: *A Brief Account of the MELBOURNE University Excavations at Tell Ahmar,* (in Assyria 1995. Proceedings of the 10th Annivesary Symposium of the Neo-Assyrisn text Corpus Project, Simo Parpola & R.M. Whiting eds. Helsinki: The Neo-Assyrian Text Corpus Project, 1997), pp.17-28.

[10] Ali Abou Assaf, "Tell Fakhariyah" , *in The Oxford Encyclopaedia of Ancient Near East, vol. 1, (Oxford University, 2000*), p. 300.

[11] Pierre Bordreui, " Fakhariyah Aramaic Inscription", *in The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East* , ed. Erich Meyrrs, Vol.1 (Oxford University, 2000), p.301.

٥- المرحلتان المسيحية والإسلامية

دخلت المنطقة عهداً جديداً مع دخول الإسكندر المقدوني إلى آسية الصغرى، وانتصاره على الفرس في معركة أسوس ٣٣٣ قبل الميلاد، وامتدت دولة الإسكندر في وقت قصير حتى وصلت إلى الهند ومصر. دام هذا العصر الذي عرف بـ "الكلاسيكي" نحو ١٠٠٠ عام حتى سيطرة العرب، ودخول الاسلام كدين جديد وبداية العصر الإسلامي. وقد انتشرت النقوش والكتابات اليونانية ولاحقاً اللاتينية في كثير من المواقع، مثل: "أفامية"[١٢] و"دورا أوروبوس"[١٣] و"بيرويا" (حلب)، و"جبل خالد"[١٤] و"قنوات" و"بصرى". وتبقى "تدمر"[١٥] ذات أهمية خاصة بين قريناتها، نظراً لتكامل مبانيها الباقية حتى اليوم شاهداً على عظمتها، فما زالت الشوارع المستقيمة التي تميزت بها المدن الكلاسيكية ماثلة، مثل: (شارع الكاردو ماكسيمانوس)، إذ عُرفت بالمخطط الهيبودامي أو الشطرنجي، وأعمدتها الضخمة، ومسرحها الأكبر من نوعه في سورية، علاوة على معبد "بل" الفريد بعمارته وزخرفته. وكذلك المدافن البرجية والأرضية التي دفن فيها أعيان تدمر، مع أضرحة ضخمة لها تماثيل تصور المتوفى وأحياناً تصور العائلة ككل.

لقد أسهمت سورية في بناء الدولة الرومانية[١٦] إذ حكمها عدد لا بأس به من الأباطرة السوريين، مثل: "فيليب العربي: من شهبا، إلى "جوليا دومنا" و"كراكلا" و"جوليا ميزا" وغيرهم، في مدة عرفت باسم السلام الامبراطوري وهي من أكثر المُدد ازدهاراً وتطوراً في التاريخ الروماني.

وكانت سورية الحاضنة الرئيسة للديانة المسيحية، بعد انتشارها واعتراف الإمبراطورية الرومانية بها كدين رسميّ (في القرن الرابع الميلادي)، فقد شهدت بناء أوائل الآوابد والكنائس، كما في "صيدنايا" و"معلولا". كما كانت المدن والقرى في جنوب سورية وشمالها الغربي (المدن الميتة أو المنسيّة) شاهداً على مدى التطور والرقي الذي بلغته حضارة ذلك العصر، فقد بلغ عدد القرى في المدن الميتة نحو

---

[12] Janine Balty (Hrsg.): A*pamée de Syrie : bilan des recherches archéologiques 1973-1979; aspects de l'architecture domestique d'Apamée, (Actes du colloque tenu à Bruxelles les 29, 30 et 31 mai 1980.* Brüssel 1984), p.288-298

[13] Michael Ivanovitch Rostovtzeff. "The Excavations at Dura-Europos"*, (Volume 3,Part 1,Number 2* Yale University Press), pp.67-165.

[14] G. W. Clarke, *Jebel Khalid on the Euphrates: Report on Excavations 1986-1996, Volume 1*, in *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* No. 331 (Aug., 2003), pp. 88-91 , and See G. Clarke, *Jebel Khalid on the Euphrates*, (Sydney: 2002).,

[15] Andreas Schmidt-Colinet (Hrsg.), *Palmyra. Kulturbegegnung im Grenzbereich*, (Mainz: 2005)., p3-18

[16] Irfan Shahid, *Rome and The Arabs: A Prolegomenon to the Study of Byzantium and the Arabs*, (Washington: Dumbarton Oaks Research Library, 1984), p.33-76.

٧٠٠ قرية، ما تزال أوابدها حتى الآن من بيوت وكنائس وحمامات وورش صناعية وآوابد عامة، تعد فريدة من نوعها في العالم من حيث الكمال والحفظ.[١٧]

حفل العصر الإسلامي بالكثير من التحولات على صعيد الثقافة والاستيطان، فقد نشأت عمارة المساجد رمز الإسلام، وأشهرها الجامع الأموي في دمشق، الذي يعد أمثولة في العمارة الإسلامية. كما تميزت عمارة البيوت داخل أسوار المدن، مثل: "دمشق" و"حلب" و"حماة" و"حمص" وغيرها. وأصبحت القلاع ضرورة ملحة لتثبيت السيطرة على مناطق محددة، فقد أسست قلاع في مناطق تحتاج لمحطات من أجل تأمين الطرق وفرص النفوذ، وما تزال قلاع "تدمر العربية"، و"الحصن" و"صلاح الدين" و"مصياف" و"جعبر" و"نجم" شاهدة على عظمة العمارة الإسلامية وتقدمها خلال مُددها المتعاقبة. وكانت دمشق في العصر الأمويّ مركز إشعاع انطلقت منه الحضارة إلى جميع الأصقاع، وازدهرت العلوم وعم الرخاء، ومهدت لاحقاً إلى أوقات ازدهار في العصر العباسيّ عامةً، وفي خلافتي الرشيد والمأمون خاصةً.

تؤكد هذه اللمحة السريعة للتطور التاريخي الأثري في سورية أهمية دورها الحضاري منذ أقدم العصور وحتى الوقت الحاضر. ما يضعنا مباشرة أمام المسؤولية الصعبة والخطرة، في مواجهة ما تتعرض له آثارنا وتراثنا الثقافي، وضرورة الوقوف بدقة على ما يحصل، من أجل تشخيص صحيح يمكّننا لاحقاً من معالجة وإنقاذ ما يمكن ترميمه. ولهذا سنبدأ بالخوض في أسباب وقوع التعديات على آثارنا وتراثنا الثقافي.

[17] Ross Burns, Monuments of Syria: An Historical Guide, (Tauris, London: 2009), p.109.

ثانياً: أسباب التعديات على الآثار وتخريبها

يمكن تصنيف أسباب التعديات على الآثار إلى خمسة أقسام:

١- **الدافع المادي:** الذي يمكن إشباعه جراء بيع قطع أثرية، ذلك في المناطق التي لا تخضع لسيطرة الدولة. وقد تعرضت المناطق الغنية بالآثار، وهي كثيرة، إلى نبش مكثف من أجل الحصول على لُقىً أثريةٍ، يمكن بيعها في السوق العالمية، إذ أصبحت رائجة فيها في السنوات الأخيرة. ويمكن عَدُّ هذا الدافع أكثر الأسباب شيوعاً، نظراً لتشجيع تجار الآثار في سورية للنبش عن الآثار مقابل مكافآت بسيطة، لتهريبها خارج البلاد إلى السوق الدولية حيث تُباع بمبالغ كبيرة. والجدير بالذكر أن هذا النوع من التعدي ليس كبير الحجم، بل يتم فقط بهدف الحصول على اللقى، وليس الهدف: منه تدمير الأوابد أو تهديم البنى. وبهذا يمكن عده أقل ضرراً من غيره، لكنه الأكثر رواجاً كما سبق القول؛

٢- **الدافع الديني:** وراء ما انتهجته المنظمات الدينية المتطرفة، مثل: ما يسمّى تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) وجبهة النصرة وغيرهما، ممّن يحرم وفق منهجه الميثولوجي وجود التماثيل والآثار القديمة كونها، وحسب زعمهم، لا تمت للإسلام بصلة، ولهذا يجب إزالتها، وتدميرها، وهذا النوع هو الأسوأ. لكن يجب عدم النظر إلى أن هدف "داعش" مثلاً هو أن يدمّر الآثار من وجهة نظر دينية فقط، بل يقوم أيضاً بالتنقيب السري عن الآثار ومن ثم تهريبها إلى خارج البلاد، وبيعها في السوق العالمية بأسعار عالية، من أجل تمويل أعماله العسكرية؛

٣- **المجموعات المنظمة:** التي تقوم دول مجاورة بتمويلها، للقيام بعمليات تنقيب في مناطق بعينها، من أجل الحصول على نتائج محددة مسبقاً، أو لأسباب ما زلنا نجهلها، لكنها تهدف في إطارها العام إلى الكشف عن معلومات معينة، ومحاولة إخفائها أو إظهارها حسب الغايات المطلوبة من التزوير والتحريف. ويمثل هذا الأمر أخطر الدوافع، خاصة أنه يهدف إلى صياغة تاريخ ما وفقاً لمكتشفات أثرية لا نعرف كيف وأين تمت. وقد حدث ذلك فعلاً في موقع ماري على حد معرفتنا، إذ حضرت مجموعة مؤلفة من حوالي ٢٠٠ شخص، وقامت بتطويق الموقع، وشرعت في أعمال البحث والنبش لمدة أيام، ذلك وفق المعلومات الواردة من مصادر المجتمع المحلي هناك، والتي بينت أن هذه المجموعات ضمت أجانب وأتراكاً أداروا العمليات بتكتم شديد، ولم يتمكن أحد من معرفة أي شيء عنها؛

٤- **استخدام الأبنية الأثرية القديمة لغايات عسكرية:** الذي أدى إلى تضرر بعض المواقع الأثرية في مناطق الاشتباكات، خاصةً الأبدية "الأوابد" منها، إذ عمدت الجماعات المسلحة إلى استخدام الأبنية الأثرية القديمة في مدن، مثل: حلب ودرعا وحمص، والقلاع، مثل: الحصن وحلب وصلاح الدين، كملاجئ لهم، وعند محاولة إخلاء هذه المناطق وإعادة السيطرة عليها من قبل الجيش، كانت تتعرض لبعض الأخطار، كما أن الجماعات المسلحة قامت بنسف وتدمير لمآذن جوامع أو أبراج في قلاع، محاولة منها لإظهار الجيش بأنه من يقوم بتدمير هذه الأوابد، من أجل استخدام هذا الأمر كذريعة في مجمل الحرب الإعلامية ضد الدولة السورية. كما أنه لا بد من التنويه أن بعض الأضرار أو التعديات التي حصلت من قبل عناصر مسلحة موالية، كانت بشكل فردي، ولم تنضو تحت ممارسة ممنهجة أو خطة متبعة لدى الدولة السورية، بل على العكس، عملت الدولة على رعاية هذه الأوابد والآثار والحفاظ عليها وتحسين طرق عرضها للناس؛

٥- **استخدام حجارة الأوابد الأثرية في البناء:** قام بعض السكان المحليين في بعض المناطق البعيدة عن المركز، باستخدام حجارة الأوابد الأثرية من أجل بناء بيوت جديدة، وهذا ما أدى إلى تهديم بعض الأجزاء من أجل استخدامها مرة أخرى، كما قاموا ببناء مساكن مخالفة وعشوائية في مناطق أثرية لم تكن القوانين تسمح بالبناء فيها، ما تسبب في تخريب للمواقع الأثرية.

ثالثا: أضرار المواقع الأثرية في سورية*

بدأت التعديات على بعض المواقع الأثرية مع بداية الأزمة في سورية عام ٢٠١١، ذلك في مناطق غابت عنها السلطة المركزية، وقد ازدادت هذه التعديات لأسباب تم ذكرها اطِّراداً مع ازدياد حدة الأزمة، حتى أن دماراً كبيراً أصاب بعض الأبنية في مناطق الاشتباكات، خاصةً في مدينة حلب. ويبدو أن حصر مناطق الأضرار ليس ثابتاً، بل يحتاج دائماً للتحديث بغية مواكبة ما يحصل على أرض الواقع، وربما ما توثّقه هذه الدراسة لن يكون آخر الأضرار، لذلك لا بدّ في أفق هذا البحث من تأسيس قاعدة عمل ثابتة متكاملة صالحة لأي عمل لاحق أو معطيات أخرى مستقبلية.

لقد تعرضت مواقع أثرية في سورية، خاصةً في مواقع الاشتباكات وفي مواقع خارج السيطرة، إلى أضرار متفاوتة، ويمكن الحديث عنها بشكل مستفيض كما يأتي:

١- درعا

ما زالت الأعمال السرية في النهب والتنقيب، تطال العديد من التلال الأثرية في ريف درعا الغربي، وتمارس من قبل جماعات مسلحة مختصة بسرقة الآثار تقوم بتجريف التلال، مثل: "تل الأشعري"، كما يتعرض العديد من التلال للنهب والتنقيب على نحوٍ سريّ بدرجات متفاوتة، كما في "تلال أم حوران" و"تل عشترة" و"تل السمن".[١٨]

كما أدت الاشتباكات التي اندلعت مؤخراً في مدينة درعا، إلى وقوع أضرار مادية بسيطة في المتحف والحديقة، تمثلت بتحطيم الزجاج والنوافذ والأبواب وتصدع بعض الجدران، بالإضافة إلى تحطم جزء من البحرة المتوضعة ضمن الحديقة. وقد استطاعت مديرية آثار درعا الوصول إلى المتحف، وقامت بإغلاق جميع الفتحات التي نتجت عن القذائف. وكانت المديرية العامة للآثار والمتاحف قد قامت خلال الفترة الماضية بإجراء احترازي، إذ نقلت القطع المتحفية إلى مكان آمن.

ولا تزال أعمال الحفر غير المشروع مستمرة بشكل خاص، في موقع "تل الأشعري" الأثري في محافظة درعا، إذ يزرع لصوص الآثار متفجرات في التل لإحداث حفر وتسريع عمليات التنقيب، كما ينزعون الحجارة الكبيرة على أطراف الموقع وضمنه لسرقة الآثار.

---

* غالبية المعلومات التي ذكرت حول التعديات على المواقع الأثرية مصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، الموقع الالكتروني http://www.dgam.gov.sy/

[١٨] المديرية العامة للآثار والمتاحف، "واقع الآثار السورية منذ بداية الأزمة حتى تاريخ ٢١ كانون الثاني ٢٠١٣، واستراتيجية حمايتها"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية، ٢٢ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٣. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=177&id=715

وتفيد المعلومات بوجود أكثر من مئة شخص يقومون بعمليات الحفر، تقف وراءهم جهة تقوم بشراء اللقى التي يتم الحصول عليها. الجدير بالذكر أن موقع تل الأشعري يعد واحداً من المواقع المهمة خلال عصور مختلفة، خاصة العصر البرونزي الوسيط.

٢- تدمر

عاشت مدينة تدمر في هدوء وسلام جعلاها تستقطب كثيراً من أبناء المحافظات المجاورة التي كانت لا تعيش حالة أمنية جيدة. دخلت مجموعة مسلحة من تنظيم داعش الإرهابي إلى المدينة وعاثت بها فساداً، وقد طال التخريب أغلب التراث الأثري التدمري، فقد أكدت مصادر من المجتمع المحلي في تدمر خبر تحطيم داعش لتمثال أسد اللات[١٩] الموجود في مدخل المتحف ضمن الحديقة، بعدما كان سابقاً يزين مدخل المعبد، وهو من الحجر الكلسي الطري ويُرى من الأمام مستنداً إلى قائمتيه فاغر الفم. وقد اكتُشف التمثال عام ١٩٧٧ من قبل البعثة البولونية، وتم ترميمه وعرضه في المتحف، يبلغ ارتفاعه ٣,٥ م، ويعد من منجزات القرن الأول ق.م وليس له مثيل في العالم.

كما قام تنظيم "داعش" مؤخراً بتفجير "معبد بعلشمين" المكرس لعبادة إله السماء، والذي يعود تأسيسه إلى القرن الأول الميلادي. وقام أيضاً بتحطيم ثلاثة من أهم المدافن البرجية في المدينة، ذلك بنسفها بمواد متفجرة، وتدميرها بالكامل، والجدير ذكره أن هذه المدافن البرجية تعد فريدة من نوعها من حيث الكمال ودقة الصنع، وقد كانت تشكل مرجعاً رئيساً لدراسة العمارة والفنون الجنائزية في الفترة الكلاسيكية في المشرق العربي القديم.

[١٩] المديرية العامة للآثار والمتاحف، "بعد دخول داعش: تدمر في خطر"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية، ٢١ أيار/ مايو ٢٠١٥.
http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=177&id=1705

وقام تنظيم "داعش" في محيط مدينة تدمر، بتفجير اثنين من المقامات الدينية في مدينة تدمر، إذ بينت الأخبار الواردة إلينا من أهالي تدمر أن المسلحين التابعين للتنظيم الإرهابي، قاموا بتفجير ضريح لأحد "السياد" الذي يعود نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب، واسمه: محمد بن علي، ويقع هذا الضريح في منطقة جبلية على بعد أربعة كيلومترات إلى الشمال من تدمر. كما فجر عناصر التنظيم ضريح "شكف"[٢٠] المعروف باسم: "نزار أبو بهاء الدين"، ويعود تاريخه إلى حوالي ٥٠٠ سنة، ويقع هذا النصب في واحة من المدينة على بعد ٥٠٠ متر من قوس النصر.

أما إعدام المدير السابق لدائرة آثار تدمر خالد الأسعد وصلبه على عمود في المدينة، بحجة أنه أدار هذه الآثار وصانها، فيبقى هو الحدث الأكثر إيلاماً، إذ إنَّ القتلة يؤكدون على وضوح رسالتهم في القتل والتدمير.

وعادت تدمر لحريتها بعد جهود وتضحيات كبيرة من الجيش، وبدأت المديرية العامة للآثار بعمليات توثيقية للأضرار، ومن ثم وضع الخطط لعمليات الترميم في القريب العاجل.

٣- معرة النعمان

أصيب متحف المعرة (خان مراد باشا) بأضرار بالغة إثر تفجير قوي[٢١] نتيجة الاشتباكات الدائرة في المنطقة منذ مدّة، حيث توضح الصور أضراراً جسيمة، في مبنى التكية والمسجد الذي يتوسط صحن الخان العثماني الذي يعود تاريخه إلى القرن السادس عشر. والجدير ذكره أن هذا الخان يضم مجموعة من لوحات الموزاييك الفريدة من نوعها في العالم، ولا توجد أية معلومات دقيقة عن اللوحات حتى الآن نظراً لوقوع المتحف في أيدي الجماعات المسلحة.

٤- إدلب

تقع في إدلب مجموعة كبيرة من المدن المنسية التي تمتد على مساحات واسعة، وتعود إلى العصر الكلاسيكي، خاصةً من القرون الثالث والرابع والخامس بعد الميلاد. وقد كان بعض عمليات التنقيب السري يتم في حالة الأمن المستتب، فكيف الحال الآن بعد خروج معظم أجزاء إدلب عن سيطرة الدولة السورية؟! وقد حاولت دائرة الآثار في إدلب التواصل مع المجتمع المحلي هناك لنشر الوعي للتخفيف من الأضرار المحتملة على المواقع الأثرية، وقد نجحت لحد كبير في بداية الأزمة، لكن بعد أن

---

[٢٠] المديرية العامة للآثار والمتاحف، "بالصور: داعش يفجر مقامات دينية في تدمر"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية، ٢٤ حزيران/ يونيو ٢٠١٥. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=1726

[٢١] المديرية العامة للآثار والمتاحف، "أضرار مادية تطال متحف معرة النعمان"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية، ٣ كانون أول/ ديسمبر ٢٠١٢. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=639

أخذت الأزمة أبعاد عسكرة حقيقية، ودخلَ الكثير من الغرباء المسلحين إلى المنطقة، لم يعد لهذه الاتصالات مع المجتمع المحلي أي تأثير، فقد رُصدت حفريات محدودة في موقع "كفر عقاب" في جبل الوسطاني، وفي جبل الأعلى في ريف إدلب حيث تقع كنيسة "قلب لوزة" المسجلة على لائحة التراث العالمي لليونسكو عام ٢٠١١ ضمن ملف القرى الأثرية في شمال سورية، إذ تم رصد أضرار في كنيسة "قلب لوزة"، تسببت بها تنقيبات سرية وتخريب للواجهات الحجرية نتيجة الاشتباكات.

كما سجلت دائرة آثار إدلب إقدام مجموعة مسلحة وعلى خلفية دينية بحتة، ومعادية، على اقتحام كنيستي ودير قرية الجديدة الواقعة في منطقة جسر الشغور (ريف إدلب)، وقامت بتحطيم كافة الصلبان والأيقونات وسرقة إحدى عشرة أيقونة أثرية مسجلة لدى دائرة آثار إدلب.

٥- حماة

تقع قلعة "شيزر" على مسافة ٣٠ كم شمال-غرب مدينة حماة، شيدت القلعة على كتلة صخرية تحاذي نهر العاصي من الغرب. يعود تاريخ بناء القلعة إلى العصر السلوقي في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، وقد انتقلت إلى الرومان، ثم البيزنطيين، وفتحها العرب في العام ١٧ للهجرة. وفي القرن الحادي عشر الميلادي، كانت تحت سيطرة بني منقذ وأشهر أمرائهم أسامة بن منقذ. وحصّنها لاحقاً الظاهر بيبرس.[٢٢]

طالت هذه القلعةَ أضرارٌ بالغة ناتجة عن اشتباكات مسلحة، أدت إلى تخلخل حجارة الواجهة الشمالية لبرج البوابة الرئيسة في قلعة شيزر الأثرية، وكذلك في سورها الدفاعي، بالإضافة إلى تهشم أجزاء من الكتابات العربية فوق المدخل، تعود إلى العصر المملوكي.

[22] Steven Runciman, *Geschichte der Kreuzzüge*. C.H.Beck, (München: 1995), p.١٠٩٤.

صورة (١): قلعة شيزر

كما تعرضت (ناعورة شيزر)، التي تقع مقابل قلعة شيزر على نهر العاصي، إلى انهيار أجزاء كبيرة من القواعد الحجرية، بالإضافة إلى تحطم مساحات كبيرة من الدولاب الخشبي.

صورة (٢): ناعورة شيزر

وتقع أفاميا Apamea - المدينة الأثرية السورية، في وسط سهل الغاب على بعد ٥٥ كم شمال غربي مدينة حماة، ويقع إلى جوارها حصن قديم حمل اسمها، ويعرف اليوم باسم "قلعة المضيق". وقد قام بتأسيس هذه المدينة الملك سلوقس الأول نيكاتور عام ٣٠٠ ق.م. وقد حافظت المدينة على ازدهارها ومكانتها العسكرية عبر تاريخها الطويل والممتد لتسعة قرون، إذ كانت قاعدة انطلاق الجيوش السلوقية، كما جرى فيها الكثير من وقائع الحروب الأهلية الرومانية، ولعبت دوراً مهماً في الحروب

الفارسية الرومانية. تعرض هذا الموقع الفريد في عمارته وأهميته خلال العصر الكلاسيكي، لأعمال تخريب وسرقة طالت القسم الأعظم من المدينة الأثرية، إذ يحفر لصوص الآثار عشوائياً في كافة أرجاء المدينة وفي أعماق متفاوتة[٢٣]. وتثبت الصور والمعلومات الواردة دقة وصحة الصور الفضائية التي نُشرت على الموقع الإلكتروني للمديرية العامة للآثار والمتاحف، وفي مواقع عالمية عدّة، حتى أن الوضع تفاقم لاحقاً وأصبحت عمليات النبش تتم باستخدام آليات ثقيلة، كما في المدافن خارج أسوار المدينة، وفي داخل المدينة لا سيما في القسم الشرقي والشارع الرئيس.

صورة (٣): أفاميا

٦- دمشق

تعرضت دمشق- المدينة الأغنى والأشهر عالمياً في نسيجها العمراني المتعدد والمتآخي منذ مئات السنين- لأخطار محدودة مقارنة مع المدن الأخرى، بسبب بقائها تحت سيطرة الدولة السورية، وما أصابها كان نتيجة قذائف تنطلق من محيط دمشق، حيث المناطق التي توجد فيها المجموعات المسلحة. وقد أدى الاعتداء بالقذائف على مدينة دمشق القديمة مؤخراً إلى أضرار محدودة في بيت السقا أميني والجامع الأموي ومطعم أبو العز وغيره وبعض المباني السكنية القديمة.[٢٤]

[٢٣] المديرية العامة للآثار والمتاحف، "أفاميا بين ٢٠١١ و٢٠١٢.. صور تظهر حجم النهب في الموقع"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية، ٣ أيار/ مايو ٢٠١٣. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=808

[٢٤] المديرية العامة للآثار والمتاحف، "أربعة شهداء و٢٦ جريحاً بقذائف هاون أمام الجامع الأموي في دمشق"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية، ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٣. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=1088

٧- ريف دمشق

تعرض ريف دمشق بشكل مباشر لعمليات انتهاكٍ وتعدٍّ على المواقع والأوابد الأثرية، وقد واجهت دائرة آثار ريف دمشق هذه الأخطار بتوثيق سريع وعمليات ترميم سريعة ومبادرات نشطة -على مستوى المجتمع المحلي-لحفظ ما يمكن من التراث الثقافي. وقد أفادت مديرية آثار ريف دمشق في تقرير لها عن الأضرار التي لحقت بعض المواقع في ريف دمشق، وأولها معلولا-البلدة القديمة- إذ تعرضت بيوتها وأزقتها للدمار الكامل، وانهارت كافة أسقف وجدران المنازل المبنية بالمواد التقليدية (الحجارة والطين والخشب)، والمؤلفة أحياناً من ثلاثة طوابق، كما تعرضت محتويات هذه البيوت التقليدية والتراثية للتلف. بينما تعرضت المدافن والمغاور الموجودة في البلدة، لأعمال العبث والتخريب والتكسير والحفر وتحطيم الأبواب (بدافع البحث عن الكنوز) أو تحويلها إلى متاريس للتحصن خلفها، ومن أكثر المغاور تضرراً تلك المتوضعة في حرم دير القديسين سركيس وباخوس، وقرب فندق السفير.

صورة (٤): معلولا – المدينة القديمة

وقد تعرّض المقامُ الأساسُ الذي يحتوي بداخله ضريح "القديسة تقلا" للحرق الكامل دون معرفة مصير المقتنيات المقدسة التي كانت فيه، وبينها عدد كبير من أهم الأيقونات. كما تعرض المدخل الرئيس للدير والممر الذي يليه لبعض التهدم والحرق. وأُضرمت النار في كنيسة "القديس يوحنا المعمدان" الموجودة داخل دير مار تقلا،[٢٥] بعد سرقة معظم مقتنياتها، وتكسير وتخريب ما تبقى منها كالمذبح والصلبان والأيقونات والرسوم الجدارية، وكتابة عبارات تكفيرية عليها وعلى جدران الكنيسة، كما تم طمس العديد من الأيقونات الجدارية بمادة الدهان.

بينما تعرّض دير القديسين سركيس وباخوس، الذي يعود لأوائل القرن الرابع الميلادي، لتخريب أجزاء من جدران الدير الغربية والشرقية وإلحاق ضرر كبير بها نتيجة سقوط القذائف عليها، كما تعرضت قبة البناء الكبيرة للدمار، بسبب إصابتها بالقذائف من عدة جهات، وتمت إزالة الصلبان عن القبة

[٢٥] المديرية العامة للآثار والمتاحف، "بالصور: تقرير عن الأضرار التي تعرضت لها المباني الأثرية في معلولا"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية، ٣٠ نيسان/ أبريل ٢٠١٤. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=1221

الكبيرة وقبة الجرس. وفي الداخل كُسِر المذبح الرئيس الرخامي، وحُطِّم الصليب الخشبي القائم عليه، إضافة إلى القيام بعمليات حفر تحت المذبح بحثاً عن كنوز. وسُرقت كافة الآثار المنقولة والمقتنيات المقدسة الموجودة داخل الدير ومنها أهم أيقونات معلولا.

صورة (٥): دير مار سركيس وباخوس

٨- حمص

تقع قلعة الحصن في منطقة تل كلخ غرب مدينة حمص بنحو ٤١ كم، وقد قام بوضع أساسات هذه القلعة أمير حمص نصر بن صالح المرداسي عام ١٠٣١م في أثناء صراعه مع الفرنجة، ومنذ ذلك الحين شغلتها حامية كردية فسميت حصن الأكراد نسبة إليهم، كما عُرفت أيضاً باسم حصن السفح.

احتلها الفرنجة عام ١١١٠م ووسعوها ودعّموا منشآتها، وأقاموا فيها إلى أن حررها الملك الظاهر بيبرس في العصر المملوكي[٢٦] عام ١٢٧١م.

تضررت القلعة عدة مرات بتأثير الزلازل، لكنها خضعت للترميم والتوسع أكثر من مرة. وقد أدرجت في ملف واحد مع قلعة صلاح الدين في محافظة اللاذقية على لائحة التراث العالمي عام 2006م، نظراً لأهميتها التاريخية والعمرانية والأثرية الكبيرة.

تعرضت هذه القلعة خلال الأزمة إلى أضرار أصابت بعض أجزائها، عندما حاولت مجموعات مسلحة السيطرة عليها، لتكون ملجأ حصيناً بالقرب من الحدود اللبنانية، لكن محاولتهم باءت بالفشل، وسرعان ما قام الجيش السوري باستعادتها.

[26] Werner Meyer, "Das heilige Land in Unruhe*", (ein historischer Essay über die "Outreiner" und die Kreuzzüge*, in: Thomas Biller (Hrsg.): *Der Crac des Chevaliers. Die Baugeschichte einer Ordensburg der Kreuzfahrerzeit*. Schnell & Steiner, Regensburg, 2006), p.26.

أما بالنسبة إلى حمص المدينة، وفي وقت سيطرة المسلحين على حمص القديمة، فقد تعرض بعض الأبنية لأضرار متفاوتة، لكنها ليست بالشديدة، كبناء "دار عبد الله فركوح" الذي شُيّد بداية القرن الماضي، ويمثل الطراز المعماري النموذجي للدور العربية، حيث تعرض هذا البناء إلى تهدم بعض أجزاء المدخل من جهة الغرب، بالإضافة إلى أضرار متفاوتة الشدة في الممرات الداخلية للمبنى، وانهدام جزء من السور الخارجي وظهور تصدعات وتشققات في أجزاء أخرى منه.

هذا، وقد بينت الصور الخاصة بالمدرسة الغسانية وكنيسة الأربعين حجم الخراب الكبير الواقع في العديد من الأقسام، وتهدم أسقف المبنى، وتضرر البرج الأثري للكنيسة وساعتها مربعة الشكل. يُذكر أن المدرسة الغسانية كانت منارة للعلم والثقافة خلال قرن من الزمن.

صورة (٦): المدرسة الغسانية – حمص

أما قهوة الفرح الأثرية، التي شُيِّدت في أوائل القرن الماضي -كما تقول لوحة حجرية مثبتة على الواجهة الخلفية للمقهى-والتي لعبت دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية لمدينة حمص، فقد تعرضت للحريق الذي ظهرت تأثيراته في واجهتها الخارجية، كما رُصدت أضرار جسيمة في سقف وجدران المبنى ناجمة عن الحرق والعبث والتخريب.[٢٧]

[٢٧] المديرية العامة للآثار والمتاحف، "مؤتمر دولي للإيكوموس في باريس حول إعادة الإعمار ما بعد الصدمة"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية، ٦ آذار/ مارس ٢٠١٦. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=177&id=1929

صورة (٧): قهوة الفرح

٩- دير الزور

تقع دورا أوروبوس Dura-Europosإلى الجنوب الشرقي من مدينة دير الزور، بين مدينتي الميادين والبوكمال، وعلى مسافة تسعين كيلومتراً على الطريق المؤدية إلى مدينة البوكمال، تقارب مساحتها السبعين هكتاراً.

تم تأسيس دورا أوروبوس مع نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، على يد أحد ضباط الملك سلوقوس الأول، كحامية عسكرية مقدونية بسيطة، وتحولت هذه الحامية إلى مدينة في القرن الثاني قبل الميلاد، حين اكتملت تحصيناتها الخارجية وتقسيماتها الداخلية وفق النموذج الإغريقي الخالص.

ثم وقعت المدينة لاحقاً تحت السيطرة البارثية عام ١١٣ ق.م، ولمدة ثلاثة قرون، وعاشت في هذه المرحلة عصرها الذهبي، من حيث السلام والتآخي بين الأديان، فتشابه الإله "زيوس" مع "بل"، وتحولت "أرتميس" إلى "نانايا"، ووجدت الآلهة الجديدة مكاناً لها في المدينة. وفي عام ١٦٥م سيطر الرومان على المدينة لتعود ثانية حصناً عسكرياً مدافعاً عن الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية، وأضافوا إلى المدينة بعضاً من أقواس النصر والمعابد العسكرية والقصور، لكن حكمهم فيها لم يدم أكثر من قرن، عندما أعاد الساسانيون احتلالها، ودمروها على يد شابور الأول عام ٢٥٦م.[٢٨]

وتعرضت هذه المدينة الأثرية لمخاطر واعتداءات كبيرة، بسبب وقوعها خارج نطاق سيطرة الدولة. وقد استطاعت دائرة آثار دير الزور الحصول على صور للأضرار في دير الزور توضح انتشار التنقيبات السرية

[28] Klaus Schippmann, *Grundzüge der Geschichte des sasanidischen Reichs.*, (Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft, 1990), p.213.

والحفر في الساحة الداخلية ببيت البعثة، بالإضافة إلى التخريب والنهب الذي طال المكان من قبل مجموعة مسلحة من لصوص الآثار. كما طالت أعمال التخريب معبد بل،[٢٩] ويرجح أن تنقيباً ممنهجاً طال هذه المدينة، قادته دول مجاورة بمشاركة بعض المأجورين، من أجل الحصول على نتائج يمكن تأويلها لاحقاً في سياقات تاريخية مطلوبة لأهداف معينة مسبقة.

صورة (٨): دورا أوروبوس

كما نشرت مديرية الآثار عن الأضرار التي لحقت بموقعي "حلبية" و"زلبية" على نهر الفرات، إذ تعرضا لمحاولات نهب وحفر سري، من أجل الحصول على بعض اللقى الأثرية لبيعها.[٣٠]

يبقى الاعتداء الذي تعرضت له مدينة "ماري" الأثرية أكثر إيلاماً، إذ قامت مجموعات منظمة -بحماية مسلحة وتطويق كامل للموقع-بعمليات نبش محددة وبآليات ثقلية، استمرت لمدة أسبوع أو أكثر، ومن ثم غادرت ولا يعرف ما آلت إليه هذه العملية. وقد تكررت هذه العملية مرة أخرى في المدة الواقعة بين شهر آذار وشهر تشرين الثاني ٢٠١٤،[٣١] وتظهر الصور حجم التعديات في الموقع. ويشار إلى أن هذا

---

[٢٩] المديرية العامة للآثار والمتاحف، "مؤتمر دولي للايكوموس في باريس حول إعادة الإعمار ما بعد الصدمة"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية، ٢٠ حزيران/ يونيو ٢٠١٤. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=1275

انظر أيضا: المديرية العامة للآثار والمتاحف ،"مؤتمر دولي للإيكوموس في باريس حول إعادة الإعمار ما بعد الصدمة"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية، ٢٧ آذار/ مارس ٢٠١٣. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=751

[٣٠] المديرية العامة للآثار والمتاحف، "The Status of Syrian Antiquities until Feb 1, 2013"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية، ١ شباط/ فبراير ٢٠١٤ . http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=309&id=717

[٣١] المديرية العامة للآثار والمتاحف، "صور الأقمار الصناعية توضح حجم الضرر في موقع ماري"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية، ١٥ تشرين ثاني، نوفمبر ٢٠١٤ . http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=1498

يدخل ضمن إطار عملية منظمة تحمل أبعاداً خطيرة، تحاول تزوير أو استخدام نتائج معينة لكتابة التاريخ وصياغته، وفق ما ترتأيه.

١٠- حلب

تعدّ حلب من أقدم مدن الدنيا التي لا تزال حتى اليوم عامرة بسكانها، ومن أكبر المدن السورية وأهمها تجاريّاً وصناعيّاً، وتقع في أقصى الشمال الغربي من الهضبة السورية الداخلية. وتجلّى الازدهار التجاري الذي تمتعت به حلب مدة طويلة، في ازدياد عدد أسواقها وخاناتها التي بنيت لإقامة التجار الأجانب، وهذه الخانات العثمانية لا تزال محافظة على بنيانها، وقد أولى حكام حلب وولاتها اهتماماً كبيراً ببناء المدارس والمساجد الكبيرة وفق الأسلوب الهندسي الإستانبولي، كجامع "خسرو باشا" وجامع "بهرام باشا" و"المدرسة الأحمدية" و"المدرسة الشعبانية" و"مدرسة عثمان باشا"، إلا أن أهم آثار المدينة هو قلعتها الشهيرة التي تعد مثالاً للهندسة العسكرية في القرون الوسطى، وشاهدا حيّاً على عظمة هذه المدينة.[٣٢] وقد سجلت مدينة حلب القديمة على لائحة التراث العالمي لليونسكو عام ١٩٨٦.

لقد عانت مدينة حلب مع بداية الأزمة، بسبب وقوعها بالقرب من الحدود التركية السورية، وإصرار الترك على دعم مختلف أطياف المجموعات المسلحة، خاصةً جبهة النصرة، من أجل السيطرة عليها. ولما خبت طموحات الأتراك والمجموعات المدعومة من قبلهم، وصمدت حلب في وجهم، آثروا أن يدمروا هذه المدينة، كيلا تبقى منافسة لإسطنبول، ولتنفرد عاصمتهم بصفة أيقونة الشرق.

وثّقت مديرية آثار حلب حصول أضرارٍ جسيمة في مبنى متحف التقاليد الشعبية (بيت أجقباش) الذي يقع في حي الجديدة، والذي يعود تاريخه إلى القرن الثامن عشر، ويمثل نموذجاً للبيوت الحلبية التقليدية العريقة خلال ذلك العصر، وقد حول إلى متحف للتقاليد الشعبية عام ١٩٧٣.

ويذكر أنَّ العديد من المباني الأثرية قد تعرضَ للتهديدات من جراء الاشتباكات، كما في كنيسة "الأربعين شهيداً" في منطقة الجديدة في حلب القديمة. وتفيد الإحصائيات لدى المديرية العامة للآثار أن أكثر من ١٥٢ مبنى داخل حلب القديمة قد تعرضوا للدمار والضرر خلال أربع سنوات من الأزمة.[٣٣]

---

[32] J. Sauvaget, Art. *Halab*, in "The Encyclopaedia of Islam", (New Edition, 3, 1971), pp.85-90.

[٣٣] المديرية العامة للآثار والمتاحف، "حلب القديمة: تفجير نفق بالقرب من حي باب النصر"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية، ٢١ آذار/مارس ٢٠١٥. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=1624

انظر أيضا: المديرية العامة للآثار والمتاحف، "حلب القديمة: تفجير نفق بالقرب من القلعة"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية، ١٣ آذار/ مارس ٢٠١٤. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=1618

وقد حاولت المجموعات المسلحة السيطرة على قلعة حلب الشهيرة، وقامت برشقها بقذائف مختلفة أدت لأضرار محدودة على الجسم الخارجي للقلعة أو بعض الأبنية الداخلية، ولما لم تنجح بالسيطرة عليها، حاولت حفر الانفاق من أجل تفجيرها، وهذا ما أدى إلى انهيار جزء من السور الدفاعي في الجزء الشمالي الشرقي من القلعة. كل هذا يجعل وضع القلعة حرجاً جداً، وبحاجة إلى حلول فورية من أجل حمايتها وعدم إلحاق أضرار جديدة بها.

كما أن وضع المتحف الوطني في حلب ما زال خطراً أيضاً، وقد اتخذت المديرية العامة للآثار والمتاحف خلال المدة الماضية العديد من الإجراءات الاحترازية بخصوص القطع المتحفية، كما تعمل حالياً على نقل أماكن عمل الموظفين خوفاً على حياتهم إلى مكان آمن.

كما أفادت مديرية الآثار بحلب وبعض مصادر المجتمع المحلي، بمعلومات عن حفر الأنفاق وتفجيرها كما حصل من خلال ثلاثة تفجيرات، وقعت بالقرب من مبنى قيادة الشرطة القديم وجامع الخسرفية وجامع السلطان، نجم عنها هدم مبنى السراي (مبنى قيادة الشرطة) وخان الشونة في محيط قلعة حلب، وما تبعه من تداعيات واضحة على حمام يلبغا الأثري.

١١- ريف حلب

هذا، وبالانتقال إلى مناطق ريف حلب، أصيبت قلعة سمعان بأضرار كبيرة، خاصةً بعد سيطرة المسلحين عليها، ويمكن تلخيص الأضرار وفق ما نشرته مديرية الآثار كما يأتي:

تعدّ "قلعة سمعان"، المسجلة على لائحة التراث العالمي لليونسكو، ضمن ملف القرى الأثرية في شمال سورية، من أهم المواقع في منطقة ريف حلب. وقد قام المسلحون فيها ببناء غرف داخل سور القلعة بالقرب من الكافتريا وخارجه، كما قاموا بتخريب المدخل الرئيس القديم للقلعة والمعروف بـ "قوس النصر"، والحفر فيه، وقام بعض الأشخاص بتكسير الأحجار الأثرية الكبيرة وتحويلها لأحجار بناء للمحال التجارية، بالإضافة لوجود عملية تخريب شديدة حصلت في هذه المنطقة بتجريف الجدران الأثرية التابعة للأبنية الأثرية، بغرض توسيع مساحة المحلات التجارية والأكشاك التي ظهرت في المنطقة. كما وثقت دائرة الآثار تخريباً محدوداً في الواجهة الشمالية للكنيسة المعمودية نتيجة الاشتباكات.[٣٤]

[٣٤] المديرية العامة للآثار والمتاحف، "الأضرار في قلعة سمعان"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية ١٣ أيار/ مايو ٢٠١٥.
http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=1986

كما طالت عمليات التخريب منطقة الحمامات الواقعة خارج سور القلعة على السفح الغربي، وهي المنطقة التي كانت تنقب فيها البعثة الفرنسية سابقاً، وتشير تقارير الحراس إلى وجود تخريب للوحة الموزاييك (الفسيفساء) التي كانت تغطي أرضية الحمام وتكسيرها إلى أجزاء صغيرة، كما طال التكسير بعض الأحجار الكبيرة التابعة لبقايا مبنى الحمام القديم.

كما قامت المجموعات المسلحة لاحقاً بتخصيص القلعة كمركز تدريبي للمسلحات والمسلحين، فقد أظهرت بعض الصور نسوة بلباس أسود كامل يتدربن على السلاح. وقد تعرض بعض القطع الأثرية، خاصةً تيجان الأعمدة إلى السرقة والتهريب إلى تركيا. وتعرض الطريق الشمالي للقلعة لأضرار بفعل التخريب، ابتداءً من مدخلها القديم وباتجاه الغرب، الذي تنتشر على طرفيه الأبنية الأثرية التي تعرضت لتكسير أحجارها الأثرية لإعادة استخدامها في البناء، كما استخدمت هذه الأحجار لبناء أبنية جديدة ضمن الأبنية الأثرية، ذلك عند المدخل الرئيس للدير. وعُرضت مؤخراً مشاهد مؤلمة عن مدى الأضرار التي تعرضت لها القلعة، خاصةً واجهة البازيلكا.

وكانت المديرية العامة للآثار والمتاحف قد نشرت ما يفيد عن وقوع أضرار في موقع القاطورة[٣٥] الذي يبعد نحو كيلومتر واحد عن قلعة سمعان، حيث استُهدفت المنحوتات الحجرية الجنائزية على واجهات سفوح الوادي مباشرة بالأعيرة النارية، واستُخدمت كنقاطٍ للقنص والتدريب، ما ترك تأثيراً تدميرياً في تماثيل بقيت صامدة حوالي ألفي عام منذ القرن الثاني الميلادي.

كما أصابت الأضرار موقع "ست الروم" الذي ما زالت مخالفات البناء مستمرة فيه، ذلك باستخدام الحجارة الأثرية، بالإضافة إلى أعمال حفر داخل الكنيسة وتخريب لوحة الفسيفساء هناك.

أما موقع رفادة فقد أحيط من جهاته الثلاث الشرقية والجنوبية والشمالية بالمقالع الحجرية، وانتشرت أعمال الحفر ضمن الموقع من الجهة الجنوبية، وتكررت ظاهرة تكسير الحجارة الأثرية لإعادة استخدامها في أعمال البناء المخالف، وفُتِحَ طريق ضمن الموقع لنقل الحجارة. كما تعرضت الأحجار المتساقطة من البرج الأثري الواقع إلى الجهة الغربية من القلعة إلى التكسير، وتساقط قسم كبير من أحجار جداره الجنوبي، نتيجة وجود تشققات وميول في القسم العلوي منه، بينما تعرضت الكنيسة الشمالية – الغربية في موقع "فدرة" لأعمال الحفر والتخريب وتكسير للحجارة الأثرية، كما فُتِحَ طريق ضمن الموقع لتسهيل نقل الحجارة. يضاف إلى ذلك تعرض العديد من المواقع، مثل: "تقلة"- "زرزريتا" – "بازبهير" – "المشهد" – "سنخار" – "الشيخ سليمان" – "زازيتا"، لأعمال التخريب والهدم وتكسير الحجارة الأثرية والحفر.

[٣٥] المديرية العامة للآثار والمتاحف، "تماثيل عمرها حوالي ألفي عام تحوّلت إلى نقاط للتدريب والقنص في منطقة جبل بركات بحلب"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية، ١٠ تشرين أول/ اكتوبر ٢٠١٢. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=1010

صورة (٩): ريف حلب – منطقة جبل سمعان

وقد رصدت تقارير الحراس في مديرية آثار حلب وجود تعديات خطيرة في منطقة "جبل خالد" الأثري على ضفة نهر الفرات خلال شهري أيلول/ سبتمبر وتشرين الأول/ أوكتوبر ٢٠١٤م، إذ شوهدت أعداد من الآليات الثقيلة والتركسات تقوم بالحفر والتنقيب في المنطقة الأثرية، وبالأخص منطقة الحقل الأثري التي عملت فيها البعثة الأسترالية سابقًا، ما أدى إلى تخريب كبير تركز في الجهة الشمالية من التل الذي يعرف بمنطقة الأكربول المنطقة المرتفعة من التل.[٣٦] الجدير بالذكر أن التل يشغل أهمية كبيرة كونه من المواقع القليلة في سورية العائدة إلى العصر السلوقي، وفيه بناء كبير لقصر حاكم المنطقة حينها.

ونبقى على نهر الفرات في منطقة "منبج"، حيث تقع "قلعة نجم"، التي أعاد بناءها "نور الدين محمود بن زنكي" في القرن الثاني عشر الميلادي، بعد الزلازل التي ضربت المنطقة الشمالية.[٣٧] وكانت معبراً للقوافل والجحافل بين العراق وبلاد الشام والجزيرة العليا، ويرقى مجمل آثارها الباقية إلى العصر الأيوبي أيام "الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين، ثم ابنه "الملك العزيز".

وقد ازدادت في قلعة نجم، وفقاً لتقرير مديرية آثار حلب، الأعمال السرية في الحفر والتنقيب، حيث تقوم مجموعة مسلحة متخصصة بالآثار، بالحفر في الجهة اليمنى من القلعة بالجرافات الثقيلة، بحثاً

---

[٣٦] المديرية العامة للآثار والمتاحف، "أضرار جسيمة في جبل خالد بريف حلب"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية، تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٤. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=1467

[37] Stefan Heidemann, *"The citadel of al-Raqqa and fortifications in the middle Euphrates area". (In Kennedy, Hugh. Muslim military architecture in Greater Syria. From the coming of Islam to the Ottoman period. History of Warfare 35, Leiden: 2006), pp.122–150.*

عن الآثار. كما طالت التنقيبات السرية عدداً من المواقع الأثرية، أمام القلعة وجهة البحيرة التابعة لحرم القلعة. كما تعرضت كنيسة واقعة في الجهة الجنوبية من القلعة، تعود لزمن أبكر إلى أعمال سرية في الحفر والتنقيب.

١٢- الرقة

وثّق بعضُ المواقع الإلكترونية وكذلك صفحات على شبكات التواصل الاجتماعي صوراً، تُظهر تحطيم تمثالي الأسدين الموضوعين في مدخل حديقة الرشيد بمدينة الرقة، ذلك بناء على خلفية دينية يتبناها تنظيم "داعش" الذي يعدّ التماثيل ظاهرة منافية للإسلام ويجب القضاء عليها. والجدير ذكره أن التمثالين أثريان أحدهما مرمّم بنسبة نحو ٣٠%، ومكتشفان في قرية أرسلان طاش "مدينة حداتو القديمة"، وسط سهل "سروج"، شمالي الجزيرة السورية بالقرب من عين العرب على الحدود السورية التركية.

صورة (١٠): تحطيم تمثالي الرقة

وقد نُقل التمثالان الأثريان إلى مدينة الرقة في ثمانينيات القرن الماضي، وقد عثر عليهما ضمن مكتشفات أثرية، تعود إلى الفترة الآشورية في أثناء أعمال التنقيب الأولى التي جرت في هذا التل، من قبل بعثة أثرية فرنسية تحت إشراف العالم تورو دانجان F. Thureau Dnagin) - عام ١٩٢٨)، وأدت الأعمال إلى الكشف عن حاضرة مزدهرة في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، وهي المدة التي تعاقبت فيها سيطرة الآراميين والآشوريين على شمال سورية.[٣٨]

وقد عمدت دائرة آثار الرقة، إلى اتخاذ إجراء مؤقت، نظراً لصغر حجم متحف الرقة، إذ قامت بوضع القطع الأثرية في مبنى هرقلة (وهو خان كبير من العصر العثماني) وتضم هذه القطع فخارياتٍ متنوعةً، وجصياتٍ، وأجزاءً من لوحات فسيفسائية، وكِسراً فخارية للدراسة، تمثّل نتائج أعمال التنقيب الأثرية لمواقع مختلفة في محافظة الرقة على مدى سنوات. ونظراً لمعرفة المجموعات المسلحة بهذا

[38] Geoffrey Turner, *The Palace and Bâtiment Aux Ivoires at Arslan Tash*, A Reappraisal, (Iraq: vol. 30, no. 1, 1968), 62-68.

الأمر، فقد قامت بعملية كبيرة مدعومة لوجستياً وبشكل منظم لمهاجمة المبنى، وتم السطو على محتوياته المكونة من مئات القطع الأثرية، ثم سرقت وحملت في قاطرات كبيرة[٣٩] وتحت تهديد السلاح أمام أهل القرية كلها. وقد نُقلت هذه القطع المسروقة إلى تركيا برعاية حرس الحدود فيها.

صورة (11): لقى أثرية وضعت في مبنى هرقلة

كما تعرض موقع الرصافة خلال العام الفائت إلى أضرار سطحية، تمثلت بتنقيبات محدودة وأعمال تكسير وتخريب لباب المستودع التابع للبعثة الأثرية العاملة في الموقع، كما قامت مجموعة مسلحة بهدم جزء من السور الأثري في الجهة الغربية، لإحداث فتحة لمرور الآليات، وقد لعب المجتمع المحلي خلال الفترة الماضية دوراً فعالاً في منع التنقيبات السرية والحد من الأضرار التي طالت الموقع.

بينما تعرض موقع "الشيخ حسن" شمال مدينة الرقة بنحو ٥٠- ٥٥ كم على الضفة اليُسرى لنهر البليخ لأعمال تنقيب وحفر من قبل لصوص الآثار بمجموعات صغيرة دون استخدام الآليات الكبيرة، كما قام تنظيم "داعش" بتفجير المزار الذي كان مُقاماً على الموقع على غرار بقية المزارات في المنطقة.

ويعد "تل الشيخ حسن" من المواقع النادرة التي تعود إلى بداية العصر الحجري الحديث والعصر الحديدي، وقد قدم نتائج مهمة في مجال علم الآثار في عصور ما قبل التاريخ.[٤٠]

---

[٣٩] المديرية العامة للآثار والمتاحف، "وزارتي الداخلية والثقافة تعززان التعاون لحماية الممتلكات الثقافية"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية، ٢٤ أيار/مايو ٢٠١٥. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=1707

[40] Peter M. M. G. Akkermans and Glenn M. Schwartz, *The archaeology of Syria: fromcomplexhunter-gathererstoearly urban societies, (c. 16,000-300 BC)*, (Cambridge University Press, 2003), pp.49 - 52.

١٣- الحسكة

حصلت دائرة آثار الحسكة على مجموعة من الصور لقطع أثرية، تم استخراجها عبر أعمال تنقيب غير مشروعة من موقع "تل عجاجة" الأثري،[٤١] ولا يُعرف مكانها حالياً.

وكان "تل عجاجة" من المواقع التي جرى فيها التنقيب سابقاً، في ثمانينيات القرن الماضي، إذ نقّبت بعثة أثرية ضمن هذا التل و"تل الشيخ حمد" الأثري، ويتطابق بعض المنحوتات الأثرية التي استخرجت بطريقة غير مشروعة حالياً، مع تلك التي عُثر عليها في ذلك الحين والموجودة في متحف دير الزور الأثري.

كما تعرضت تلال كثيرة للضرر في منطقة الجزيرة السورية، خاصةً في مواقع خارج سيطرة الدولة السورية، فقد تعرض "تل براك" لانتهاكات على سطح التل، وعمليات تجريف باستخدام آليات ثقيلة،[٤٢] لكن توقفت هذه الأعمال بعد سيطرة الدولة عليه مرة أخرى. وتعرض "تل الشيخ حمد" على نهر الخابور، إلى أخطار كبيرة وعمليات نبش واسعة، كشف على إثرها عن جزء من تمثال آشوري مهم، كان قد عُثر على جزء منه سابقاً، ويحمل كتابة مسمارية. كما تعرض "تل غويران" في الحسكة لعمليات نبش من أجل الحصول على لُقى يمكن بيعها. بينما بقيت المناطق الواقعة تحت حماية المجتمع المحلي (الكردي) في أمان من التخريب والنبش، إذا قام السكان المحليون بالحفاظ عليها وعدم السماح بالمساس بها.

---

[٤١] المديرية العامة للآثار والمتاحف، **"بالصور: آخر الأخبار من تل عجاجة في ريف الحسكة"**، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية، ١٥ آذار/ مارس ٢٠١٦. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=1938

[٤٢] المديرية العامة للآثار والمتاحف، "واقع الآثار السورية منذ بداية الأزمة حتى تاريخ ٢١ كانون الثاني ٢٠١٣، واستراتيجية حمايتها"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية، ٢٢ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٣ . http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=177&id=715

رابعاً: المتاحف في ظل الأزمة

تعرض بعض المتاحف في سورية لعمليات اعتداء وتخريب، كانت هي الأخطر من نوعها، ذلك لأن المتاحف هي الوعاء الرئيس لكل اللقى الأثرية. فقد كان متحف الرقة أول المتاحف التي اعتُدي عليها، وكانت المديرية العامة قد أخلت أغلب القطع الأثرية، وأودعت ثلاثة صناديق في البنك العقاري،[٤٣] وهي ما حصل عليه المسلحون بعد سيطرتهم على الرقة. كما كان لسيطرة المسلحين على هرقلة التأثير الكبير، إذ هُرِّبَ معظم لقى هرقلة بطريقة منظمة إلى تركيا.

وتمت السيطرة على المتحف في "دير عطية" لوقت قليل، لكن كان كافياً لسرقة الكثير من القطع التراثية، إذ إنَّ المتحف من نوع المتاحف التراثية للتقاليد الشعبية أساساً. ولحسن الحظ أن الجيش استطاع استعادة المتحف سريعاً.

يبقى وضع متحف إدلب الأكثر غموضاً، ومن غير المعروف حجم الخسائر فيه، فقد ضم هذا المتحف كل محفوظات موقع "إيبلا" الأثري، من نصوص ورقم طينية يصل عددها لعدة آلاف. ووفق بيانات المديرية ودائرة آثار إدلب فقد تم نقل معظم المحفوظات إلى مكان آمن، لكن بما أن إدلب ما تزال تحت سيطرة جبهة النصرة، فلا يمكن معرفة حجم الخسائر والمفقودات بشكل دقيق.

وهنا لا بد من التنبيه إلى أنَّ المنظمات المسلحة على مختلف أصنافها، خاصةً تنظيم "داعش"، تسعى إلى المتاجرة بالآثار والسيطرة على متاحف، يمكن نقل آثارها خارج البلد بمساعدة من تركيا والأردن، لتباع في السوق الدولية لاستثمار الأموال مرة أخرة في تمويل العمليات الإرهابية المسلحة داخل سورية. وقد كانت إيطاليا أول الدول الأوروبية المشاركة في هذه المتاجرة، ومن ثَمَّ ألمانيا إذ تعد مدينة ميونيخ– بحسب ما أورد التلفزيون الألماني نفسه-سوقاً مركزية للإتجار باللقى الأثرية المهربة من سورية والعراق. وتدفع مبالغ مالية عالية مقابل شرائها. وقد خمن أحد المعنيين عوائد "داعش" خلال السنة الماضية من تجارة الآثار بعشرات الملايين من الدولارات.

[٤٣] المديرية العامة للآثار والمتاحف، "سرقة ستة صناديق تحوي قطعاً أثرية من متحف الرقة"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية، ٢٨ تموز/ يوليو ٢٠١٣. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=934

خامساً: الإسهامات المحلية والدولية لحماية الآثار السورية

١- الجهات الحكومية السورية

بادرت الجهات الرسمية السورية على الصعيد المحلي، بمحاولة تفادي الأخطار الواقعة قدر الإمكان، ولاسيما في المناطق التي يمكن التواصل مع سكانها، ذلك من أجل الحفاظ على الآثار وتحييدها عن الصراع الدائر، وعدّها تراثاً وطنياً يخص الدولة السورية. وكانت الإسهامات ناجحة لحدّ ما في بداية الأزمة خاصةً، وقد أمكن على سبيل المثال استرجاع ثلاثة صناديق لقى أثرية في الرقة، كانت محفوظة في البنك العقاري بعد دفع مكافأة مالية لمن يعيدها، وهي لقى فخارية لا تحمل قيمة تراثية مميزة. كما عملت دائرة آثار دمشق بالاتفاق مع أفراد من المجتمع المحلي في "سهل وادي" بردى باقتلاع لوحة فسيفسائية مهمة من القرن الأول الميلادي، وجلبها إلى قلعة دمشق، ذلك مقابل مكافأة مجزية لهم. وقد ضاقت هذه المحاولات بعد دخول عناصر غريبة وأجنبية عن النسيج المحلي على نطاق واسع، ولم يعد بالإمكان المبادرة للدعوة لتحييد التراث الثقافي والمحافظة عليه، وبدأت عمليات التعدي والانتهاك والانتقام من كل ما هو تراثي وعلى كل الأصعدة.

ويبقى الخبر الأهم هو استعادة تدمر من قبل الجيش السوري، ذلك بعد قتال عنيف، وتضحيات كبيرة، ويعمل الآن فريق من المديرية على حصر الأضرار وتقييمها، ووضع الخطط من أجل إعادة ترميم وتأهيل المباني والأوابد المتضررة.

وعلاوة على ذلك، قامت الحكومة السورية بالتواصل مع كافة الجهات المعنية والمنظمات الدولية، مثل: الإنتربول، وغيره لمحاولة استرجاع القطع الأثرية المسروقة أو المنهوبة من سورية، وإعادتها إلى موطنها الأصلي.

٢- الإسهامات والجهود الدولية

عُقدَ بعض الندوات الدولية حول موضوع حماية الآثار السورية في ظل الأزمة، لكنها لم تكن على مستوى أهمية الحدث، بل اقتصرت على مبادرات حسن نية أكثر منها خطوات ذات فعالية على أرض الواقع. فقد عقد في برلين في مقر وزارة الخارجية الألمانية يومي ١١ و١٢ كانون الأول/ ديسمبر 2014 المؤتمر الدولي الذي نظمه معهد الآثار الألماني، ومؤسسة التراث الثقافي البروسي، والجمعية الألمانية لعلم الآثار حول "**التراث الثقافي المهدد بالخطر: الحفريات والاتجار غير المشروع**".[٤٤]

[٤٤] المديرية العامة للآثار والمتاحف، "اجتماعات مع منظمة اليونسكو في إطار مشروع الصون العاجل للتراث الثقافي السوري"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية، ١٧ تشرين أول/ أكتوبر ٢٠١٤. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=177&id=1455

تم التركيز في هذا المؤتمر، على أهمية التلاحم والتعاون الدولي، لمحاربة آفة الإتجار غير المشروع بالممتلكات الأثرية في الدول التي تتعرض للتنقيب السري، خاصةً سورية والعراق ومصر وغيرها، وأضافت أنَّ سورية كانت عبر آلاف السنين موطناً للكثير من الحضارات الكبرى والممالك القديمة، بدءاً من ثقافات ما قبل التاريخ وإمبراطوريات الشرق الأدنى حتى المجتمعات الإسلامية، وللحفاظ على الموروث الثقافي المهم نحن بحاجة لحماية التراثين الثقافيين السوري والعراقي.

وأشير في المؤتمر إلى أن المواقع الستة للتراث العالمي في سورية، كانت قد وضعت في حزيران 2013 من قبل لجنة التراث العالمي، على قائمة التراث العالمي المهدد بالخطر، وإلى تعاون وزارة الخارجية الألمانية للحفاظ على التراث الثقافي السوري. على سبيل المثال، تمويل "مشروع تراث سورية" الذي ينفذ من قبل معهد الآثار الألماني، ومتحف الفن الإسلامي، والمتضمن رقمنة أرشيف القائمة في التراث الثقافي لسورية، الالتزام بإنشاء سجل مركزي للتراث السوري.

ركزت من جهتها السيدة مونيكا غاتر وزيرة الدولة لشؤون الثقافة والإعلام على أهمية القيام بدور فعال لحماية الثقافيات والحضارات التي تنتهك من قبل المتطرفين وعصابات الآثار، وقالت في كلمتها: إنَّ الأزمات غالباً ما تؤدي إلى تدمير المتاحف والمواقع الأثرية وازدهار تجارة القطع الأثرية المسروقة، وأوضحت أن هذا "يدمر التراث الثقافي للبشرية جمعاء"، وأضافت أن ألمانيا تعتزم تشديد تنظيم تجارة القِطَعِ الفنية والأثرية، بما يوجب على مستوردي القطع الأثرية أن يكون لديهم رخصةَ تصديرٍ صالحة وشهادة منشَأ للقطعة الأثرية، كما أن التنظيم الجديد، يطلب من المؤسسات الثقافية والمتاحف في جميع أنحاء ألمانيا أن تدرس بعناية القطع الأثرية المشكوك فيها لديها.

كما وجه مدير عام الآثار السوري اللوم للمجتمع الدولي على تقاعسه وعدم استجابته إلى النداءات المتكررة لحماية الآثار السورية منذ بداية عام ٢٠١٣ عندما ظهرت تقارير تفيد بتحرك شبكات المافيا المتخصصة في تهريب الآثار في الداخل السوري. وأنهى كلمته موضحاً أنه إن لم يتحرك المجتمع الدولي

انظر أيضا: المديرية العامة للآثار والمتاحف، **"اليونسكو تبدأ برنامجها التدريبي في مجال مكافحة الاتجار غير المشروع بالممتلكات الثقافية السورية"** المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية، ١٠ تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠١٤.

http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=177&id=1487

- انظر أيضا:

ASOR Syrian Heritage Initiative (SHI): Planning for Safeguarding Heritage Sites in Syria1, (NEA-PSHSS-14-001, Weekly Report 6 – September 15, 2014).http://www.asor.org/news/2014/08/SHI-press-release.html

اليوم في محاربة الإتجار بالآثار السورية، وتقديم العون المباشر إلى المؤسسة الثقافية الأثرية في سورية لإنجاح خطتها، ستحاكمنا أجيال المستقبل على هذا التقاعس.

وعُقد في هذا الوقت اجتماع من قبل اليونسكو، وبمشاركة وزارة الخارجية الألمانية، ومعهد الآثار الألماني في برلين حول التحضيرات لحماية وترميم وصيانة الآثار في سورية، وقد تركزت توصيات المؤتمر على الدعم الكامل في الحفاظ على التراث السوري وحمايته، وقام معهد الآثار الألماني بعقد جلسات فرعية مع المعنيين من المديرية العامة للآثار، من أجل وضع الخطط المستقبلية، وآلية العمل والاحتياجات. ويعد هذا الأمر الأكثر جدية من بين كل الإسهامات الخارجية.[٤٥]

[45] UNESCO Conference from 3-4 Mai 2016, in Berlin for Emergency Safeguarding of Syria's Cultural Heritage.

ويمكن الاطلاع على تفاصيل المؤتمر على الرابط: https://www.unesco.de/en/kultur/2016/internationales-expertentreffen-zum-erhalt-des-kulturerbes-in-syrien-in-berlin.html

الخاتمة والتوصيات

لقد ألقت الأزمة السورية بظلالها على كثير من نواحي الحياة، وكان التراث الثقافي أحدها، ومع استطالة زمن الأزمة التي هي الآن في عامها السادس، دخل التراث السوري والآثار السورية في خطر حقيقي قد لا يمكن تلافي تأثيراته لاحقاً. ومع أن ما تم الحديث عنه وتحليله في الصفحات السابقة ليس بقليل بل هو خطر كبير، فإنه إذا لم يتم تلافي الأخطار فإن النتائج ستكون أكبر وأعمق.

لقد قامت جميع القطاعات الحكومية السورية المعنية بالآثار، بجهد حقيقي للحفاظ على ما أمكن من التراث السوري، لكن لا يستطيع أغلب هذه القطاعات الحضور في ميدان سيطرت عليه القوة والاشتباكات، والتآمر من دول مجاورة، مثل: تركيا والأردن، للقضاء على هُويّة سورية الحضارية، وهي الأعمق والأهم في التاريخ الإنساني.

وفي الختام نوصي بما يلي:

١- تكوين تلاحم دولي حقيقي يمنع الاعتداء السافر على الآثار في سورية وتحييدها عن أي شكل من أشكال الصراع على أرض الواقع، لأن مسؤولية التراث السوري هي قضية عالمية بامتياز وليس من حق أحد أن يتلاعب بها أو يهملها.
٢- الضغط على المجتمع الدولي ليأخذ دوره المطلوب في هذا الإطار.
٣- محاسبة كل من يتقاعس أو يتلاعب في هذا المجال.
٤- إعداد ملف جنائي يجرم كل من أسهم في خراب التراث السوري العريق أو تهريبه أو المساس به.

المراجع

الكتب العربية:

- خوليديس، ناديا و لوتس مار تين. **تل حلف والمنقب الأثري فون أوبنهايم**. ترجمة فاروق اسماعيل. دمشق: دار الزمان، ٢٠٠٦.
- عبد الرحمن، عمار. **فنون ومعتقدات المزارعين الأوائل**، دمشق: دار إنانا، ٢٠٠٩.

المواقع الألكترونية

المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية: "واقع الآثار السورية منذ بداية الأزمة حتى تاريخ ٢١ كانون الثاني ٢٠١٣، واستراتيجية حمايتها"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=177&id=715

المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية: "بعد دخول داعش: تدمر في خطر"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=177&id=1705

المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية: "بالصور: داعش يفجر مقامات دينية في تدمر"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=1726

المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية: "أضرار مادية تطال متحف معرة النعمان، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية . http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=639

المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية: "أفاميا بين ٢٠١١ و٢٠١٢.. صور تظهر حجم النهب في الموقع"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=808

المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية: "أربعة شهداء و٢٦ جريحاً بقذائف هاون أمام الجامع الأموي في دمشق"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=1088

المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية: "بالصور: تقرير عن الأضرار التي تعرضت لها المباني الأثرية في معلولا"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=1221

المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية: "مؤتمر دولي للايكوموس في باريس حول إعادة الإعمار ما بعد الصدمة" http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=177&id=1929

المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية: " بالصور: تقرير عن مجمل الأضرار التي أصابت موقع دورا أوروبوس"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=751

المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية: "صور الأقمار الصناعية توضح حجم الضرر في موقع ماري، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية.http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=1498

المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية: "حلب القديمة: تفجير نفق بالقرب من حي باب النصر، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية . http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=1624

المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية: "حلب القديمة: تفجير نفق بالقرب من القلعة" http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=1618

المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية: "الأضرار في قلعة سمعان"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=1986

المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية: "تماثيل عمرها حوالي ألفي عام تحوّلت إلى نقاط للتدريب والقنص في منطقة جبل بركات بحلب"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=1010

المديرية العامة للآثار والمتاحف – "سورية: أضرار جسيمة في جبل خالد بريف حلب"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=1467

المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية: "وزارتا الداخلية والثقافة تعززان التعاون لحماية الممتلكات الثقافية"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=1707

المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية: "بالصور: آخر الأخبار من تل عجاجة في ريف الحسكة"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=1938

المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية: "واقع الآثار السورية منذ بداية الأزمة حتى تاريخ ٢١ كانون الثاني ٢٠١٣، واستراتيجية حمايتها"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=177&id=715

المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية: "سرقة ستة صناديق تحوي قطعاً أثرية من متحف الرقة"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=239&id=934

المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية: "اجتماعات مع منظمة اليونسكو في إطار مشروع الصون العاجل للتراث الثقافي السوري"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=177&id=1455

المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية: "اليونسكو تبدأ برنامجها التدريبي في مجال مكافحة الاتجار غير المشروع بالممتلكات الثقافية السورية"، المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية. http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=177&id=1487

الكتب الأجنبية

Abou Assaf, Ali. "Tell Fakhariyah" , *in The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East* , ed. Erich Meyrrs, Vol.1, Oxford University, 2000.

Akkermans, Peter M. M. G.; Glenn M. Schwartz. *The archaeologyofSyria: fromcomplexhunter-gathererstoearly urban societies, (c. 16,000-300 BC)*. Cambridge University Press, 2003.

Andreas Schmidt-Colinet (Hrsg.): *Palmyra. Kulturbegegnung im Grenzbereich*, (Mainz: 2005).

Balty, Janine (Hrsg.). "Apamée de Syrie*". Bilan des recherches archéologiques 1973-1979; aspects de l'architecture domestique d'Apamée, (Actes du colloque tenu à Bruxelles les 29, 30 et 31 mai 1980.* Brüssel: 1984.

Bordreui, Pierre." Fakhariyah Aramaic Inscription", *in The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East* , ed. Erich Meyrrs, Vol.1. Oxford University, 2000.

Burns, Ross. Monuments of Syria: An Historical Guide, (Tauris, London: 2009).

Clarck, G. *Jebel Khaled on the Euphrates*, Sydney: 2002.

Heidemann, Stefan. *"*The citadel of al-Raqqa and fortifications in the middle Euphrates area*". In Kennedy, Hugh. Muslim military architecture in Greater Syria. From the coming of Islam to the Ottoman period. History of Warfare 35, Leiden, 2006.*

Margueron, Jean-Claude. *Mari- Métropole de l'Euphrate au IIIe et au début du IIe millénaire av. J.-C.* Paris: Picard, 2004.

Meyer, Werner. "Das heilige Land in Unruhe*,* ein historischer Essay über die "Outreiner" und die Kreuzzüge", in: Thomas Biller (Hrsg.): *Der Crac des Chevaliers- Die Baugeschichte einer Ordensburg der Kreuzfahrerzeit*. Regensburg: Schnell & Steiner, 2006.

Mithen, Steven. *After the ice : a global human history, 20.000 - 5.000 BC.* Cambridge, Mass.: Harvard Univ. Press, 1.paperback ed. 2006.

Paolo, Matthiae*. The Royal Archives of Ebla*. 2007.

Pardee, Dennis. *The Ugaritic Texts and the Origins of West-Semitic Literary Composition.* New York: Oxford University Press- for the British Academy, 2012.

Paul, Jean. *Sämtliche Werke*. Band 5, Berlin: 1826.

Rostovtzeff, Michael Ivanovitch. *The Excavations at Dura-Europos.* Volume 3,Part 1,Number 2 Yale University Press.

Runciman, Steven. *Geschichte der Kreuzzüge*. München: C.H.Beck, 1995.

Sauvaget, J." Art. Halab*"*, *in The Encyclopaedia of Islam*, New Edition, 3, 1971.

Schippmann, Klaus. *Grundzüge der Geschichte des sasanidischen Reiches.* Wissenschaftliche Buchgesellschaft, Darmstadt, 1990.

Shahid, Irfan. *Rome and The Arabs: A Prolegomenon to the Study of Byzantium and the Arabs*. Washington: Dumbarton Oaks Research Library, 1984.

الدوريات

Bunnens ,Gay. "Til Barsip under Assyrian Domination, A Brief Account of the MELBOURNE University Excavations at tell Ahmar*", "in Assyria 1995. Proceedings of the 10th Anniversary Symposium of the Neo-Assyrisn text Corpus Project, Simo* Parpola & R.M. Whiting (eds.). Helsinki: The Neo-Assyrian text Corpus Project, 1997, 17-28.

Geoffrey Turner, "The Palace and Bâtiment Aux Ivoires at Arslan Tash, A Reappraisal", Iraq, vol. 30, no. 1, 1968: 62-68.

Clarke. Grim, *Jebel Khalid on the Euphrates: Report on Excavations 1986-1996, Volume 1* , in *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* No. 331 (Aug., 2003), pp. 88-91

الموقع الإلكترونية

"The Status of Syrian Antiquities until Feb 1, 2013 - المديرية العامة للآثار والمتاحف – سورية
http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=309&id=717

ASOR Syrian Heritage Initiative (SHI): **Planning for Safeguarding Heritage Sites in Syria 1**, (NEA-PSHSS-14-001, Weekly Report 6 – September 15, 2014).
http://www.asor.org/news/2014/08/SHI-press-release.html

UNESCO Conference from 3-4 Mai 2016, in Berlin for Emergency Safeguarding of Syria's Cultural Heritage.
https://www.unesco.de/en/kultur/2016/internationales-expertentreffen-zum-erhalt-des-kulturerbes-in-syrien-in-berlin.html

عمار عبد الرحمن

عمل الدكتور عمار عبد الرحمن:

- مديراً للمتاحف في المديرية العامة للآثار و للمتاحف.

- مدير البحث العلمي في المديرية العامة للآثار والمتاحف حيث أشرف على نشر العديد من المؤلفات الجديدة، منها مجلة الوقائع الأثرية في سورية ومجلة مهد الحضارات والكثير من الكتب المتخصصة.

- رئيس الموسوعة الأثرية في سورية المحدثة في "هيئة الموسوعة العربية في دمشق".

- مدرس ورئيس قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة دمشق.

- عضو الأكاديمية العربية الألمانية للباحثين في مجال العلوم الإنسانية والطبيعية والتابعة للأكاديمية الألمانية في برلين.

- أستاذ في جامعة كونستانس في مجال الآثار الشرقية.

- أستاذ في جامعة توبنغن قسم الآثار الشرقية "العصور البرونزية".

وللباحث العديد من المنشورات والأبحاث أهمها : " مملكة ألالاخ ألق التاريخ على العاصي"، "فنون ومعتقدات المزارعين الأوائل"، " تنقيبات جنديريس من ٢٠٠٦-٢٠١١".

مركز دمشق للأبحاث والدراسات

Damascus Center For Research and Studies

Damascus - syria

Tel: +963 116 114 776

Fax: +963 116 114 731

www.dcrs.sy

info@dcrs.sy